

قضية الاحتفال بعيد الأم

والحاجة إلى أدب الحوار بين المسلمين

بقلم : عبد الآخر حماد

كنت قد سئلت منذ حوالي سنتين عن حكم الاحتفال بما يسمى عيد الأم ، فأجبت بما أعتقده صواباً وهو أنه لا يجوز للمسلمين أن يتخذوا عيداً غير ما شرعه الله لهم من عيدي الفطر والأضحى ، وأن الأم أعظم قدراً من أن يحتفى بها في يوم واحد من السنة بل الواجب برها في كل وقت وحين ، وقد نُشرت تلك الفتوى في حينها بموقع الجماعة الإسلامية بمصر ، رغم مخالفتها لرأي رئيس تحرير الموقع الدكتور ناجح إبراهيم حفظه الله الذي كتب بعد ذلك مقالاً طويلاً ذهب فيه إلى إباحة الاحتفال بذلك اليوم بشروط وضوابط ذكرها ، ثم نشر في الأيام الماضية مقالاً ضافياً للأخ الشيخ رجب عبد الله يذهب فيه إلى ما ذهبت إليه من تحريم الاحتفال بذلك اليوم واعتباره بدعة ، فكان ذلك مما يحسب لرئيس تحرير الموقع والقائمين عليه .

ومع كل تلك الملابس إلا أنا فوجئنا بصحيفة مصرية تسمى اليوم السابع تنشر تحقيقاً صحفياً بتاريخ 2009/3/16م حول ذلك الموضوع جعلت عنوانه : (تحريم عيد الأم يثير استياء ورفض رجال الدين) ، حيث وضعت فتوى العبد الفقير التي سبقت الإشارة إليها في صدر ذلك التحقيق ، ثم استطلعت في ذلك آراء بعض الأساتذة والكتاب ، ولقد هالني ما ورد في ذلك التحقيق على لسان بعض علماء الأزهر من عبارات أقل ما يقال فيها إنها مجازفات خطيرة كنا نربأ بمن ينتسب إلى العلم والدين أن يقع فيها وذلك مثل ما ورد على لسان الدكتور أحمد محمود كريمة أستاذ الشريعة بجامعة الأزهر من اتهام القائمين على موقع الجماعة الإسلامية بالجهل وأن فكرهم ((ينتمي إلى الوهابية السلفية، التي تتلاعب بعقول المسلمين تحت شعار السنة ومنهج السلف، وذلك لاغتتيال عقول الشباب وتجنيدهم بأفكار ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب)) انتهى بحروفه من موقع الصحيفة المذكورة على شبكة الإنترنت .

لقد كنت أتمنى أن أجد في الموقع المذكور تأدباً بأدب الإسلام في الخلاف بأن تناقش المسألة مناقشة علمية قائمة على الدليل والبرهان ، وييدي كل صاحب رأي رأيه بغير تجريح في الآخرين ، غير أنني لم أر في التحقيق شيئاً من ذلك إلا ما ورد على لسان الدكتور كريمة من أن الاحتفال بعيد الأم يدخل في باب المصالح المرسله التي لم يرد الشرع باعتبارها ولا بإلغائها- وهذا فيما أرى غير صحيح كما سيأتي - وما عدا تلك الجزئية فيني لم أجد إلا التسفيه والتجريح ونعتنا بالجهل التام بالدين والشريعة، وأن مثلنا لا يخدمون الإسلام، بل يشوشون عليه، لأنهم يقدمون فكراً معلولاً وفهماً مشوشاً كما ورد على لسان الدكتور كريمة في التحقيق المشار إليه .

فيا سبحان الله ماذا يكون جوابكم حين تقفون بين يدي الله فيسألكم عن سبب تجهيلكم وتجريحكم لقوم لا لشيء إلا أنهم خالفوكم في بعض ما ذهبتم إليه ، وأخذوا بقول سبقتهم إليه جماعة من أجلة أهل العلم رأوا أنه الأقرب إلى النصوص الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؟

وعلى كل حال فيني أورد هنا على سبيل الاختصار شيئاً من الأدلة على صحة ما ذهبنا إليه من أنه يحرم اتخاذ عيد غير ما شرعه الله لنا ، لا عيد الأم ولا غيره ، وأن ذلك داخل في معنى الابتداع في الدين ومخالفة هدي سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم :

فمن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها المخرج في الصحيحين حيث قالت (دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعثت) قالت (وليستا بمغنيتين) فقال أبو بكر (أمزومور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟) وذلك يوم عيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا) وفي رواية (يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وإن عيدنا هذا اليوم) ، فهذا الحديث يدل على عدم مشروعية اتخاذ أي عيد غير ما شرعه الله تعالى لنا ، وذلك من عدة وجوه ذكرها الإمام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم منها : أن قوله (إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا) يوجب اختصاص كل قوم بعيدهم ، لأن اللام تورث الاختصاص ، كما

في قوله تعالى (ولكل وجهة هو موليتها) ، وقوله (لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً) ، ومنها أن قوله (وهذا عيدنا) يقتضي حصر عيدنا في هذا فليس لنا عيد سواه . وهذا يدل على أن الأعياد جزء من الدين فلا يجوز إحداث عيد لم يشرعه الله ورسوله ، وعليه فلا يدخل ذلك الإحداث في معنى المصالح المرسلة ؛ لأنه مع حصر أعياد المسلمين السنوية في يومي الفطر والأضحى تكون مصلحة ذلك الإحداث ملغاة لا مرسلة . كما أن المتأمل في الأحاديث الواردة في هذا الموضوع يجد أن النهي عن اتخاذ عيد غير ما شرعه الله لنا نهي عام لم يُخص بأن يقصد بالعيد التعبد لله تعالى ؛ فقد صح في الحديث عند أبي داود وغيره عن أنس بن مالك قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر) ، فهذان اليومان اللذان كان أهل المدينة يلعبون فيهما كانا عندهم من الأمور العادية لا التعبدية ، ومما يدل على ذلك أن أنساً قد ذكر فقط أنهم كانوا يلعبون فيهما ولم يشر إلى أي معنى تعبدي في احتفالهم بهذين اليومين ، كما أننا نعلم أن الأوس والخزرج كانوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم على دين أهل مكة وأعيادهم الدينية واحدة ، فلو كان هذان اليومان عيدين بالمعنى التعبدي لكانا مما يحتفل به أهل مكة أيضاً ولما احتاج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يسألهم عنهما ، فهذا كله مما يؤكد أنهم لم يكونوا يقصدون التعبد بهذين اليومين ، ومع ذلك نأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما .

وقد ثبت عن الصحابة رضي الله عنهم النهي عن الاحتفال بيوم النيروز كما في قول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : (من بنى ببلاد الأعاجم ، وصنع نيروزهم ومهرجاناتهم ، وتشبه بهم حتى يموت ، وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة) . [أخرجه البيهقي (234/9) وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء] .

وأما علي رضي الله عنه فقد أخرج البيهقي (235/9) أنه رضي الله عنه قد أُتي بمثل النيروز [أي بطعام مما يصنعونه في يوم النيروز] فقال : ما هذا ؟ قالوا : (يا أمير المؤمنين

هذا يوم النيروز) قال (فاصنعوا كل يوم فيروزاً) قال أسامة -أحد رواة الأثر- (كره رضي الله عنه أن يقول النيروز) ،فهذا علي رضي الله عنه كما يقول الإمام ابن تيمية قد كره مجرد الاسم ،فكيف بموافقتهم في العمل ؟

و عيد النيروز ليس عيداً دينياً بل قد قيل إنه اليوم الذي جلس فيه الملك الفارسي جمشيد على كرسي الحكم ، حيث أظهر العدل فسمي اليوم الذي جلس فيه على سرير الملك نيروزاً ، ذكر ذلك الشيخ حمود التويجري في كتابه (الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثر من مشاهمة المشركين) ، والأكراد يعتقدون أن يوم النيروز هو اليوم الذي انتصر فيه أحد ملوكهم على أحد ملوك بابل كما أخبرني بذلك غير واحد ممن لقيتهم من الأكراد ، ولا يزال الأكراد يحتفلون به إلى اليوم لا على أنه عيد ديني بل على أنه عيد قومي بدليل أنهم جميعاً بمختلف أديانهم وطوائفهم يحتفلون به كما أخبرني بذلك جمع منهم .

ثم إن الدكتور كريمة لم يكتف في التحقيق المشار إليها بما سلف من تجهيلنا ورمينا بأشنع النعوت ، بل راح يشير بأصابع الاتهام إلى علماء المملكة السعودية الذين يفتون بجرمة الاحتفال بما يسمى عيد الأم متحدياً إياهم بأن يجيبوا عن سؤال حول الاحتفال باليوم الوطني ، هل هو حلال أم حرام ؟

وإني من باب الذب عن علماء المسلمين أجيب الدكتور الفاضل بأن علماء المملكة قد أفتوا بالفعل بجرمة الاحتفال بالعيد الوطني ، وذلك كما في فتاوى اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ ابن باز رحمه الله المجلد الثالث الصفحة الستون حيث سئلت اللجنة عن حكم الاحتفال بعيد الأم والعيد الوطني للمملكة ونحوهما فأجابت بما نصه : ((ما كان من ذلك مقصوداً به التنسك والتقرب أو التعظيم كسبا للأجر ، أو كان فيه تشبه بأهل الجاهلية أو نحوهم من طوائف الكفار فهو بدعة محدثة ممنوعة داخلية في عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " رواه البخاري ومسلم ، مثال ذلك الاحتفال بعيد المولد وعيد الأم والعيد الوطني لما في الأول من إحداث عبادة لم يأذن بها الله ، ولما في ذلك من التشبه بالنصارى ونحوهم من الكفرة ، ولما في الثاني والثالث من التشبه بالكفار)) .

إن علماء المملكة السعودية ليسوا بمعصومين وإنما هم كغيرهم من أهل العلم ينطبق عليهم ما قاله إمام دار الهجرة رحمه الله : (كل إنسان يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر) وأشار إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولن شاء من أهل العلم أن يخالف أولئك العلماء في بعض ما ذهبوا إليه ، لكني أربأ بمن انتسب إلى الشريعة أن يحمله اختلافه مع بعض إخوانه من أهل العلم على اتهامهم والظعن فيهم كما يوحي به التحدي المشار إليه .
وأخيراً : فإننا لم نزعم لأنفسنا أننا امتلكنا الحقيقة المطلقة ، وإنما اجتهدنا في الوصول إلى الصواب ، ونحن لا نلزم أحداً برأينا وإنما نجيب من سألنا بما نعلمه ، فإن شاء أخذ به وإن شاء تركه ، وللدكتور كريمة أن يفتي من استفثاه بما يراه صواباً لكن ليس من حقه تسفيه الآخرين ولا رميهم بالجهل لمجرد أنهم خالفوه في رأي ذهب إليه ، وختاماً فإننا نقول لفضيلته : من منا الذي يقدم فكراً معلولاً وفهماً مشوشاً : من ييدي رأيه دون قرح في الآخرين ، أم من يجعل جُلّ كلامه تسفيهاً وتحقيراً وتجنياً على المخالفين؟! هداانا الله وإياكم إلى صراطه المستقيم .

عبد الآخر حماد

1430/3/22هـ